تجربة في الصحافة السرية

عبد القادر ياسين

عندما تم للقوات الاسرائيلية احتلال قطـــاع غزة ، في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ واجهت التنظيمات الثورية في القطاع جملة واجبات عسيرة ، كان عليها ان تنجزها . لعل على رأس تلك الواجبات كان انتزاع الجماهير من هوة اليأس التي أسقطتها فيها الهزيمة . لذا فقد كان أمام القوى الثورية في القطاع أن تخوض نضالا تحضيريا دؤوبا وشاقا ، قبل الوصول بالكفاح الى النضال المسلح . مما طبـــع الكفاح الثوري بالقطاع ، في النصف الثاني من سنة ١٩٦٧ ، بالطابع السياسي . ولعبت الصحافة السرية دورا محوريا في هذا الكفاح . وقد ارتكزت القوى الثورية في القطاع على الصحافة السرية ، دون الدعاية الشفهية . نظرا للانتشار الواسع للتعليم في القطاع أولا ، وطلبا للامان ثانيا ، ولقلة الاعضاء المنظمين القادرين على تغطية الدعاية الشفهية ثالثا . وحتى الاميين كـــانوا يستطيعون السماع الى مواد الصحيفة من أحد القراء ، بمـــا يتيح لهؤلاء الاميين تربية فكرية وسياسية ثورية .

كيف ولدت المقـــاومة

منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة ، تأسست « الجبهـــة الوطنية المتحدة » من « الحزب الشيوعي » و« حزب البعث » و« جبهة تحرير فلسطين (ج ت ف) » . وشارك بعض المستقلين الوطنيين الديمقراطيين في قيادة الجبهة . ولبعض المستقلين ثقل سياسي كبير في قطاع غزة ، لا تستطيع معه التنظيمات الثورية تجاهلهم ، نظـــرا لتأثيرهم البالغ في أوساطهم المهنية والعائلية .

وقد صدرت صحيفة « المقاومة » ، في أول آب (اغسطس) ١٩٦٧ ، لمساندة الجبهة في عملها السياسي والفكـــري . وفي العدد الاول منها جرى شرح نهجهـــا . وتصدت « المقاومة » لواجباتها منـــذ اليوم الاول ، فقد اجتهدت لجذب قطاعات واسعة مـــن الجماهير الى ساحة الكفاح ، وعمدت الى ملاحقة الافكار الانهزامية والانتحارية على حد سواء . وجاءت موادها لتربي الجماهير بالروح الكفاحية الصحيحة ، من أجل الكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وتصعيد هذا الكفاح ، ليأتي الكفاح المسلح تتويجا له .

وقد أظهرت تجربة « المقاومة » أن خير وسيلة لنشر الافكار الثورية بين الجماهير ، هي القيام بتحريك ودعاية صائبين وواضحين ، مع رفع مستوى الجماهير الفكري . وقـــد واجهتنا منذ البداية عقبة داخلية لم تكن في الحسبان . تلك هي استصغار بعض اعضاء قاعدة الجبهة شأن الدور الذي تلعبه الصحافة والمطبوعات في تربية الجماهير وفـــي توجيه نضالاتها .

لقد كانت الصحافة السرية الثورية في قطاع غزة ـــ بشبكـــة منشوراتهـــا اليوميـــة والاسبوعية والشهرية ـــ تلعب دورا هاما في تربية الشعب، وفي تنظيم اعمال جماهيرية، وفي رفع مستوى المناضلين الفكري والسياسي .